

المبحث الثاني

الإعلام الإفريقي في عصر المعلومات (*)

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن - أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

من خلال شعارات الليبرالية الجديدة والسوق الحرة ومن خلال أطر قانونية محكمة (اتفاقيات الجات) استطاعت القوى العالمية المحكمة في السوق أن تعيد إنتاج الهيمنة الغربية على دول الجنوب في ثوب جديد يسمى العولمة. وفي ظل العولمة تم تهميش مجمل دول الجنوب وفي مقدمتها القارة الأفريقية التي تم حرمانها من التمتع بحقوقها في مواردها الطبيعية التي أقرتها اتفاقية التنوع الحيوي في قمة ريو دي جانيرو ١٩٩٢. كما تم تصفية وتفكيك الصناعات المملوكة للدولة في مختلف أنحاء أفريقيا وفتح الباب على مصراعيه أمام الواردات الأرخص المجلوبة من الخارج كما تم إسقاط النظام التفصيلي للمنتجات الأفريقية الأساسية مثل البن والكافو والشاي والموز مما عرض الدول الأفريقية لخسائر فادحة في الأسواق الأوروبية. هذا علاوة على حرمان أفريقيا من امكانية التصنيع إلا برؤوس أموال أجنبية من خلال اتفاقية الاستثمار المتعددة الأطراف. ونتيجة للضغوط المتواصلة من جانب جماعة المانحين انتهجت الدول الأفريقية طوال العقد الماضي سياسات أسفرت عن التصفية الفعلية لكل وظائف الدولة الاقتصادية حيث تم إجبار الدول الأفريقية على خصخصة أصولها الوطنية. وإذا كانت قوى العولمة قد نجحت في تخلي الدول الأفريقية عن كثير من وظائفها ومسئولياتها فإن الإعلام الأفريقي له وضع آخر فهو لا يزال في أغلبه حكومياً. إذ أن أغلب الحكومات الأفريقية لا تزال تعتبر الإعلام أحد مسؤولياتها الرئيسية. ولذلك فإن خصخصة وسائل الإعلام لا تزال ظاهرة ناشئة في أفريقيا في ظل عدم تشجيع الحكومات التي تعتبرها تهديداً لنفوذها ومكانتها. هذا ويشير المشهد الإعلامي في أفريقيا إلى مجموعة من الحقائق والتحديات وبعض مظاهر التحسن النسبي نوجزها على النحو التالي:

أولاً: ملامح الخريطة الإعلامية والمعلوماتية في أفريقيا:

١- يسكن القارة الأفريقية ٦٣٦ مليون نسمة يعيش ٣٢% منهم في المدن فيما يعيش في الريف الأفريقي ٦٨% من سكان القارة. وهناك تعددية أثنية ولغوية (حوالي ١٣٠٠ لغة شفوية) وتبلغ نسبة الأمية في أفريقيا ٨٠%. وتشير احصاءات اليونسكو ١٩٩٦ إلى أن ١٨% من السكان يمتلكون الراديو ويعتمد الغالبية العظمى من شعوب القارة على الراديو كوسيلة أولى للأخبار. ولا تتعدى نسبة

استهلاك الصحف ٤ في الألف إذ يوجد فقط ١٧٥ صحيفة يومية و ٣٠٠ دورية أسبوعية وشهرية في جميع أنحاء القارة الأفريقية وهناك ٣١/٢% من سكان القارة يمتلكون التليفزيون و ٠,٠٣% يمتلكون الكمبيوتر. وتتفرد أفريقيا بعادات القراءة الجماعية للصحف والاستماع والمشاهدة الجماعية للإعلام المسموع والمرئي خصوصاً في الريف الأفريقي.

٢- يسيطر نمط الملكية الحكومي على مختلف وسائل الإعلام المقروء والمرئي والمسموع في أفريقيا ما عدا عدد قليل من الدول تنصدرها مصر وجنوب أفريقيا وكينيا وزامبيا وناميبيا والسنغال وتونس والمغرب والجزائر.

٣- يتركز الإعلام الأفريقي في العواصم والمدن الكبرى مما يعني اقتصار الخدمات الإعلامية على سكان المدن وحرمان الريف الأفريقي. كما أن السياسات الإعلامية في معظم الدول الأفريقية تركز على الجوانب السياسية والدعائية للحكام.

٤- يتركز سوق الإعلام الفضائي في منطقتي الانجلوفون والفرانكوفون. أما المناطق الناطقة بالبرتغالية فهي لا تزال تعيد إذاعة برامجها في انجولا وموزمبيق. ويتميز كل من شمال القارة ممثلة في مصر وجنوب القارة ممثلة في جنوب أفريقيا في مجال الفضائيات. إذ توزع شركة جنوب أفريقيا Multi Choice قنواتها على ٣٩ دولة أفريقية وتعتبر القناة رقم ٥ المخصصة للموسيقى أشهر هذه القنوات. كما أنشأت هيئة الإذاعة بجنوب أفريقيا قناة أفريقية الفضائية للأخبار وتقتصر هذه الخدمة على النخب القادرة على اقتناء الهوائيات. ومنذ عام ١٩٩٨ بدأت بعض الدول الأفريقية في استقبال قنوات النابلسات أول قمر أفريقي يديره اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري.

٥- تتوفر الخدمات المعلوماتية في ٢٧ دولة أفريقية أغلبهم في منطقة الفرانكوفون حيث بدأ استخدام المينتيل قبل أن تصبح خدمات الانترنت متاحة في القارة والتي بدأت تنتشر في السنوات الأخيرة حيث أصبحت معظم الدول الأفريقية متصلة بشبكة الانترنت وهناك عدد قليل من الدول الأفريقية التي تمتلك خطوط اتصال دولية على الانترنت ومعظمها يتم عن طريق الأقمار الصناعية. أما البريد الإلكتروني فهناك تزايد في عدد المشتركين خصوصاً الهيئات العامة مثل

المستشفيات والشرطة. ويبلغ عدد مستخدمي الانترنت ٢٢ مليون و ٨٧٠ ألف منهم ١٣ مليون مستخدم في جنوب أفريقيا والـ ٩ مليون الباقية لسكان القارة إلى ٦٣٦ مليون نسمة.

٦- تشير الاحصاءات إلى أن نسبة استخدام الأفراد للتليفونات في افريقيا تبلغ ١,٤% علماً بأن أغلب التليفونات تتعرض للعطل أثناء مواسم المطر. ومما يجدر ذكره أن ٥٠% من خطوط التليفون تتركز في العواصم الكبرى حيث يعيش ١٠% من سكان القارة. ومما يثير الدهشة أن معدل توفر الخطوط الرقمية في القارة تقترب من النسبة العالمية إذ تبلغ ٦٩% فيما لا تزيد النسبة العالمية عن ٧٩%. هذا ويتدنى معدل الخدمة التليفونية في دول الساحل التي تضم النيجر ومالي والكونغو إذ لا يزيد عن جهازين لكل ألف نسمة فيما تزداد الكثافة التليفونية في كل من الشمال والجنوب الأفريقي حيث تبلغ ٣٥ جهازاً لكل ألف نسمة أما غرب وشرق القارة فالنسبة تتراوح بين ٢,٥، ١٠ أجهزة لكل ألف نسمة. وقد أدى ذلك إلى مضاعفة سعر الخدمات والخطوط التليفونية فهي تستهلك ٢٠% من الدخل القومي للدول الأفريقية فيما لا يزيد المعدل العالمي عن ٩%. وقد ترتب على ذلك سرعة انتشار المحمول في الدول الأفريقية كبديل عن قلة الخطوط التليفونية. وقد أصبحت هذه الخدمة متاحة في ٤٥ دولة أفريقية. ورغم ضآلة الخطوط التليفونية إلا أن نسبة استخدام المكالمات الدولية يتجاوز المعدل العالمي ويعزى ذلك إلى زيادة اعداد الافارقة الموجودين خارج القارة والذين يحرصون على مداومة الاتصال بأهاليهم داخل القارة.

٧- هذا وقد قامت ٢٥ دولة أفريقية بخصخصة هيئات الاتصالات السلكية الوطنية من بينها ساحل العاج وغانا وغينيا والسنغال وجنوب أفريقيا وأوغندا. كما أقامت ٢٠ دولة أفريقية نظاماً مستقلة أو شبه مستقلة في الاتصالات. وهناك ١٥ دولة أفريقية منها الكاميرون ومدغشقر وتانزانيا ومالاوي بدأت في إجراءات الخصخصة لقطاع الاتصالات.

الإعلام الأفريقي المشترك:

يعانى الإعلام الأفريقي المشترك من عدة قصورات تحول دون قيامه بدور فعال في خدمة قضايا القارة اقليمياً وعالمياً علاوة على عجزه عن تلبية الاحتياجات الإعلامية والاتصالية لسكان القارة وتتمثل هذه القصورات في:

١- ضعف الأداء الإعلامى لوكالة بانا الإقليمية التى تضم ما يزيد عن ٢٢ وكالة أنباء أفريقية ومقرها السنغال. وقد أتجهت فى الفترة الأخيرة إلى الخصخصة بعد معاناة طويلة بسبب عدم التزام الدول الأعضاء بدفع الاشتراكات وضعف التمويل الدولى وعدم كفاية الكوادر المؤهلة المدربة فضلاً عن غياب الاستراتيجية الإعلامية الأفريقية الموحدة.

٢- ضعف الأداء الإعلامى لاتحاد الإذاعات الأفريقية الذى يضم ٢٤ دولة أفريقية ويتولى بث وتوزيع البرامج المحلية والأجنبية فى ضوء الاتفاقيات المعقودة بين الدول الأعضاء وبعض المنظمات الدولية.

وقد اسفرت هذه القصورات عن ترك الساحة الأفريقية خالية أمام شبكات الاتصال الدولية مثل CNN، BBC، يورونيوز والشبكة الفرنسية التى يتركز نشاطها فى كل من دكاكر وجوهانسبرج ونيروبى ولاجوس وهزارنى ولوزاكا.

التحديات التى تواجه الإعلام الأفريقى:

لا شك أن غياب البنية التحتية للاتصالات والمعلومات فى معظم أنحاء القارة ما عدا المدن والعواصم الكبرى قد حال دون الاستفادة من الثورة التكنولوجية فى مجالى الاتصال والمعلومات مما أدى إلى إتساع الفجوة بين أفريقيا وسائر القارات من ناحية وفى داخل القارة من ناحية أخرى. ومما فاقم هذا الوضع استمرار وتزايد معدلات الأمية والفقر خصوصاً فى المناطق الريفية النائية فى أفريقيا. ورغم وجود بعض مظاهر التحسن النسبى إلا أنه لم يبلغ المعدل المطلوب الذى يسمح بتحقيق الحد الأدنى العادل من الخدمة الإعلامية والاتصالية والمعلوماتية لسكان القارة.

وتتمحور الصعوبات في هذا المجال حول:

١- ضعف الاستثمارات في مجالي الاتصالات والمعلومات ومما يجدر ذكره أن القطاع الخاص في الدول الأفريقية يحجم عن انشاء صحف أو إذاعات تتوجه إلى المناطق الريفية المهمشة ويؤكد ذلك أن التراخيص لا تمنح إلا للمحطات التي تقام في مناطق حضرية ذات كثافة سكانية عالية مما يضمن للمعلنين دخلاً وإقبالاً جماهيرياً.

- هبوط مستوى الخدمات الاتصالية والإعلامية الحكومية.

- نقص الكوادر المؤهلة والمدربة في مجال الإعلام والمعلومات.

- استنزاف القروض الدولية في تغطية نفقات الاتصالات التليفونية واستخدام الانترنت. وتشير التقديرات الدولية إلى ضرورة توفير اعتمادات تتراوح ما بين ٤-٦ مليار دولار لتحسين الخدمات الاتصالية والمعلوماتية سواء من حيث الكثافة أو النوعية وإلا ستظل أفريقيا في ذيل دول العالم في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

- هذا وتشير الشواهد إلى وجود ثلاثة أنواع من التحديات تواجه الإعلام الأفريقي تتراوح ما بين تحديات تكنولوجية وتحديات مهنية وتحديات ثقافية. وتفصيلاً لذلك:

التحديات التكنولوجية تتمثل في:

١- سيطرة الشركات المتعدية الجنسية على إنتاج وتسويق التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية في أفريقيا.

٢- معظم الدول الأفريقية لا تملك بنية تحتية ولا كوادر بشرية مؤهلة ولا قدرات تمويلية تمكنها من توطين التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية باستثناء جنوب أفريقيا ونيجيريا. وقد ترتب على ذلك اعتماد الدول الأفريقية على القروض الأجنبية بما لها من تداعيات سلبية على مسيرة الإعلام الأفريقي وتوجهاته مع الاكتفاء بنقل التكنولوجيا دون العمل على توطينها.

التحديات المهنية:

لقد أدت السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام الأفريقية إلى حرمان الإعلاميين الأفارقة والجماهير من حقوقهم في حرية التعبير والمشاركة كما أدى ذلك إلى زيادة عجز النقابات الصحفية في أفريقيا عن القيام بمسؤولياتها تجاه المهنة وحماية حقوق الصحفيين.

هذا ويعانى الإعلام الأفريقي من ضعف التدفق البينى فى المعلومات والأخبار بين الدول الأفريقية إذ لا يزيد عن ٢% بسبب اعتماد الإعلام الأفريقي على المصادر الغربية التى تشمل الفضائيات وشبكات المعلومات مثل الانترنت والمينيتيل. كما أدت الفقرة المفاجئة فى استخدام شبكات المعلومات واقتناء الهواتف إلى حدوث خلل وعدم توازن فى الممارسات الإعلامية فى أفريقيا. ويعزى ذلك فى الأساس إلى عدم إجراء التعديلات اللازمة فى السياسات الإعلامية والثقافية بما يتلائم مع طبيعة المرحلة الراهنة ومتطلباتها. وإذا كانت الصحافة الأفريقية قد أستفادت جزئياً من الثورة التكنولوجية فى الاتصال والمعلومات خصوصاً فى مجال النشر والتوثيق والطباعة واستخدام الأقمار الصناعية فى إصدار طبعات اقليمية ودولية مثال مصر - الجزائر - جنوب أفريقيا - نيجيريا - كينيا - زامبيا - إلا أن الصحافة الأفريقية لا تزال تعاني من تدنى الامكانيات فى تكنولوجيا الطباعة (صناعة الورق - الأخبار .. إلخ) وإهمال التدريب للصحفيين الأفارقة وتخلف برامج التأهيل الأكاديمى علاوة على تراث السيطرة الحكومية.

التحديات الثقافية:

تتعرض السماوات الأفريقية للبث المباشر المنتظم من جانب ٣١٠ قناة فضائية تنتمى إلى ٥ شبكات رئيسية عالمية للأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية. وبشكل الولايات المتحدة القاعدة الأهم والأكثر تأثيراً للمشروع الثقافى العولمى بوجهه الاحتكارى وقدراته التكنولوجية الهائلة وأدواته الإعلامية والمعلوماتية المتقدمة والتى تلعب الدور الحاسم فى نشر وترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجارى والتى تسعى بدأب لإعادة بناء المنظومة الثقافية والقيمية لدى شعوب العالم بما يخدم مصالح السوق وأيديولوجيتها وذلك من خلال تهيمش الثقافات الأخرى وفى مقدمتها الثقافة

الأفريقية. وفي ظل اكتساح الثقافة الأمريكية للعالم بسبب هيمنتها الاتصالية والمعلوماتية يبرز أمامنا بوضوح التنافس بين الثقافتين العالميتين الثقافة الأنجلوأمريكية والثقافة الفرنسية للسيطرة على العالم. وتعد أفريقيا ساحة رئيسية لهذا التنافس حيث تبرز الفرانكوفونية كأداة لمقاومة نزعة الهيمنة التي تكرسها الانجلوفونية باعتبارها أداة التواصل الأكثر ذبوعاً وانتشاراً سواء على النطاق العالمي أو في القارة الأفريقية بوجه خاص من خلال ما تبثه من برامج ومسلسلات مرئية ومسموعة وتستهدف الترويج لنمط الحياة الأمريكية. وتتعرض أفريقيا حالياً للاختراق الثقافي الأمريكي من خلال شبكات المعلومات والفضائيات والطريق السريع للاتصال والمعلومات حيث تستكمل الدور الذي تقوم به الشركات المتعدية الجنسية والثلاثي والاقتصادي (البنك الدولي + صندوق النقد الدولي + منظمة التجارة العالمية) والثمانية الكبار للسيطرة على الأسواق الأفريقية ويتم الاختراق الثقافي للدول الأفريقية لصالح السوق العالمية وعلى حساب أي محاولات وطنية للنهوض أو الاستقلال أو التمايز الاقتصادي والثقافي.

مؤشرات التحسن النسبي في الإعلام الأفريقي:

في ضوء الادراك العالمي المتزايد بضرورة تطوير تكنولوجيا الاتصال والمعلومات لدفع عجلة التنمية في أفريقيا برزت كثير من المبادرات الدولية لتيسير وصول شعوب القارة إلى مصادر وشبكات المعلومات والاتصال الدولية قدمتها كل من اليونسكو والاتحاد الدولي للاتصالات والهيئة الكندية للتنمية الدولية ويضاف إلى ذلك البرامج العديدة لتطوير البنية الإتصالية والمعلوماتية في القارة والتي طرحها السكرتير العام للأمم المتحدة. وهناك عدة مؤشرات للتحسن تتمثل في القرارات التي صدرت عن مؤتمر أديس ابابا الذي عقده اليونسكو عام ١٩٩٥ وقد نجح في إعداد إطار تنظيمي لتطوير استخدام الكمبيوتر في مشروعات التنمية تجسد في الوثيقة التي تبناها وزراء الإعلام الأفارقة عام ١٩٩٦ وعرفت باسم (المبادرة الأفريقية في مجال المعلومات). وتركز هذه الوثيقة على خطط تطوير البنية التحتية في مجال الاتصال والمعلومات في إطار الأولويات التنموية للدول الأفريقية من خلال تعزيز التعاون بين الدول الأفريقية. وقد بدأت بعض الدول الأفريقية في تنفيذ ما نصت عليه هذه الوثيقة

مثل بوركينا فاسو والكاميرون وجزر القمر وأثيوبيا وجنوب أفريقيا ورواندا وموزمبيق ونامبيا وليسوتو وأوغندا. كذلك اتخذ مؤتمر ابيدجان للاتصالات المشتركة بين الدول الأفريقية الذي عقد عام ١٩٩٨ عدة قرارات هامة تنص على الزام وزارات الإعلام بوضع سياسات جديدة في مجال إعادة تسعير الخدمات الاتصالية. وقد أثمرت هذه الجهود في إعداد وثيقة عرفت بعنوان (علاقات التعاون الاتصالي بين الدول الأفريقية) شارك في إعدادها ٤٠ وزير إعلام أفريقي وتهدف إلى إنشاء ١٥ مليون خط تليفوني خلال السنوات الخمس القادمة. وقد تضمنت الوثيقة الإشارة إلى ضرورة تأسيس مراكز للاتصال والمعلومات في المناطق الريفية وقد ساند الاتحاد الدولي للاتصالات وبعض الهيئات الدولية الأخرى هذا المشروع مما أسفر عن تأسيس ٢٠ مركزاً تجريبياً في أنحاء مختلفة من القارة.

هذا وتتصدر اليونسكو جميع المنظمات الدولية في منح أولوية قصوى لتطوير قطاع المعلومات والاتصالات في أفريقيا من خلال تعزيز برامج التعاون الإقليمي والاهتمام بالإعلام الريفي في القارة. وقد برز ذلك في عدة مشروعات أبرزها شبكات تدريب المعلمين على تكنولوجيا الاتصال واستخداماتها في مجال التعليم وقد بدأ هذا المشروع في كل من السنغال وزيمبابوي وسوف يمتد ليشمل ٢٢ دولة أفريقية. كما وافق البرنامج النهائي للأمم المتحدة على تخصيص ٦ مليون دولار لتحسين استخدامات الانترنت في أفريقيا فيما عرف بمشروع أو مبادرة الانترنت في أفريقيا. وقد شاركت في هذا المشروع كل من أنجولا وبوركينا فاسو والرأس الأخضر وتشاد والكونغو وجامبيا وموريتانيا ونامبيا وساو تومي وبرنسيب وسوازيلاند وتوجو. أما برنامج الأمم المتحدة للبيئة فقد أسس شبكة الاتصالات البيئية في أفريقيا. وتقدم منظمة الدول الناطقة بالفرنسية مساعدات أساسية لبرامج ومشروعات التكنولوجيا الاتصالية في أفريقيا الفرنكوفونية. وقد بدأت ثمارها تظهر في كل من بوركينا فاسو والكاميرون وساحل العاج ومدغشقر ومالي وموريشيوس وموريتانيا والسنغال.

وخلاصة ما يمكن قوله بالنسبة لهذه المساعدات الدولية أنها تسعى بالفعل إلى تضيق الفجوة بين أفريقيا وسائر قارات العالم من ناحية وداخل أفريقيا ذاتها بين الريف والحضر والأغنياء والفقراء من ناحية أخرى. خصوصاً وأن المخاوف تتزايد

عندما نلاحظ أن معدلات اختفاء الأمية وتحسين نوعية الحياة والحالة الصحية وسائر مؤشرات التنمية البشرية لا تزال منخفضة في القارة الأفريقية لذلك فإن المساعدات الدولية ما لم يصاحبها جهود وطنية مخلصه من أبناء القارة وطلائعها الشعبية المستنيرة لمساعدة القارة على النهوض باستخدام التكنولوجيا الملائمة وتحقيق معدلات التنمية اللائقة المصحوبة بعدالة توزيع عائد الثروات على جميع هؤلاء الذين ينتمون للقارة في الريف والحضر ما لم يحدث ذلك فإن تحقيق هذا الأمل سيظل حلمًا جميلًا.